قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)

-دراسة وتحليل-

إعداد

الأستاذ الدكتور المساعد

أحمد كريم أبراهيم

Dr. Ahmed Kareem Abraham

@gmail.com

Summary

Thanks for Allah and peace on the master of the prophets our Master Muhammad and all his followers and who follow him and I worked according to two methods in my writing for this thesis:

I do choose study (And WE have not sent thee as a mercy for all peoples) that's important study because relation by the Al-Karim Quran .It is the God talk wondrous. This is study very Important because it is mention Ethics Great at the prophet Muhammad (peace on him).

I study this subject by:

First Method :depending on the resources in exposing the opinions in construing the text without giving any personal opinion in the analysis because the recourse of the text do not bear sometimes the Excess on the opinions of the previous people.

Second method : promoting the opinion in explaining some of the sections which bear giving the opinion specially in the pictures sections about Ethics Great at the prophet Muhammad (peace on him).

And I have finished this thesis with abstract in which I have showed some of the results which I have reached on through the research and God has prayed on Our great Prophet and all his Followers.

الملخص:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، والصلاة والسلام على رسول الله محمد الذي ارسل رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن لعلم التفسير أهمية كبيرة من بين العلوم الشرعية، فهو رأس العلوم الشرعية، وذلك لأنه يتعلق بالقرآن الكريم، الذي يعد المصدر التشريعي الأول في الإسلام، فاعتنى العلماء بهذا العلم عناية كبيرة، فظهرت مؤلفاتهم بمختلف جوانب القرآن الكريم وقد اخترت آية من كلام الله تعالى تبين حقيقة رسالة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم)،وهي قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]، لتكون موضوع بحثي، وأهمية البحث في هذا الموضوع تأتي :

أولاً: إنه يتعلق بتفسير آية في كتاب الله سبحانه وتعالى. ثانياً: إن الآية التي نحن بصددها فيها شهادة من الله تعالى ، لعبده محمد(صلى الله عليه وسلم)،بانه رحمة للعالمين. إضافة إلى ذلك دعوة للتأسي بالرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) صاحب الخُلُق العظيم بشهادة رب العالمين، الأسوة الحسنة التي أمرنا الله تعالى ان نقتدي به.

(١)سورة الانبياء : الآية ١٠٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين،الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله،ولو كره المشركون،والصلاة والسلام على رسول الله محمد الذي ارسله الله رحمة للعالمين،وعلى آله وصحبه،ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن لعلم التفسير أهمية كبيرة من بين العلوم الشرعية،فهو رأس العلوم الشرعية،وذلك لأنه يتعلق بالقرآن الكريم،الذي يعد المصدر التشريعي الأول في الإسلام،فاعتنى العلماء بهذا العلم عناية كبيرة،فظهرت مؤلفاتهم بمختلف جوانب القرآن الكريم ،ولم يقتصر هذا الأمر على العلماء المسلمين بل تجاوز غير المسلمين ،فبحثوا في بعض ما أشار إليه القرآن الكريم من امور علمية خاصة ما يتعلق بالجانب العلمي الهادي،فكلام الله سبحانه وتعالى يحوي من الأسرار ما لا يعلمه إلا الله تعالى،ولتعلقي بالقرآن الكريم وحبي له،وحبي لرسوله (صلى الله عليه وسلم) ،وقد اخترت آية من كلام الله تعالى تبين حقيقة رسالة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم)،وهي قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]،لتكون موضوع بحثي،وأهمية البحث في هذا الموضوع تأتي:

أولاً: إنه يتعلق بتفسير آية في كتاب الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: إن الآية التي نحن بصددها فيها شهادة من الله تعالى ، لعبده محمد(صلى الله عليه وسلم)،بانه رحمة للعالمين.

إضافة إلى ذلك دعوة للتأسي بالرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) صاحب الخُلُق العظيم بشهادة رب العالمين، الأسوة الحسنة التي أمرنا الله تعالى ان نقتدي به،فقالتعالى ،وقوله الحق: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي

(١)سورة الانبياء:الآية:١٠٧.

رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ (١)، وقد جاء البحث من مقدمة وتمهيد: بين يدي الآية:

المبحث الأول:عالمية الرسالة .

المبحث الثاني:حاجة الناس إلى الرسل

المبحث الثالث : مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها

المبحث الرابع: تحليل الكلمات .

المبحث الخامس: الإعراب والوجوه البلاغية في الآية.

المبحث السادس:المعنى العام للآية.

المبحث السابع: أهم ما يستفاد من الآية.

هذا وقد استفدت استفادة كبيرة من كتب التفسير قديمها وحديثها في دراسة هذه الآية ،كجامع في تأويل آي القرآن للطبري،والتفسير الكبير للفخر الرازي، وكتب اللغة كالقاموس المحيط للفيروزابادي،وغيرها من الكتب في البلاغة والإعراب ،ولم أجد صعوبة تذكر في كتابة هذا البحث،وذلك لتوفر المصادر.

وختمت البحث بخاتمة بينت فيها النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، وأياً ما كان فهذا جهدي الذي بذلت ، فإن أصبت فبفضل الله جَلَّ جَلاَله هو أهل الفضل ،وان كان غير ذلك فمن نفسي ومن الشيطان، فإن الكمال لله وحده .

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

تمهيد: بين يدي الآية

لابد لنا قبل الكلام عن الآية التي نحن بصددها أن نتكلم عن السورة[١] التي جاءت فيها الا وهي سورة الانبياء التي هي من السور المكية[٢]،وكلماتها ألف ومئة وثمان وستون كلمة، وحروفها أربعة آلاف وثماني مئة وتسعون حرفا،وهي مئة واثنتا عشرة آية ، في الكوفي وإحدى عشرة في عدّ الباقين، اختلافها آية:﴿ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ [٣]عدها الكوفي ولم يعدها الباقون[٤].

وسميت السورة بالانبياء لورود ذكر الانبياء فيها،فذكر الله (سبحانه وتعالى)فيها إكرامه للأنبياء، وإن لم يذكر قومهم كما ذكر قصة داود و سليمان وايوب وذكر آخر الكل :﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً

---

(١)السُّورَةُ: تُهْمَزُ وَلَا تُهْمَزُ فَمَنْ هَمَزَهَا جَعَلَهَا مِنْ أَسْأَرَتْ أَيْ: أَفْضَلَتْ مِنَ السُّؤْرِ ،وَهُوَ مَا بَقِيَ مِنَ الشَّرَابِ فِي الْإِنَاءِ كَأَنَّهَا قِطْعَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ ،وَمَنْ لَمْ يَهْمِزْهَا جَعَلَهَا مِنَ الْمَعْنَى الْمُتَقَدِّمِ وَسَهَّلَ هَمْزَهَا،وَمِنْهُمْ مَنْ يُشَبِّهُهَا بسور الْبِنَاءِ، أَيْ الْقِطْعَةُ مِنْهُ، أَيْ مَنْزِلَةٌ بَعْدَ مَنْزِلَةٍ ،وَقِيلَ مِنْ سُوَرِ الْمَدِينَةِ لِإِحَاطَتِهَا بِآيَاتِهَا وَاجْتِمَاعِهَا كَاجْتِمَاعِ الْبُيُوتِ بِالسُّورِ، وَمِنْهُ السُّوَارُ لِإِحَاطَتِهِ بِالسَّاعِدِ،وَقِيلَ: لَارْتِفَاعِهَا لِأَنَّهَا كَلَامُ اللَّهِ وَالسُّورَةُ الْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ ،وَقِيلَ: لِتَرْكِيبِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ مِنَ التَّسَوُّرِ بِمَعْنَى التَّصَاعُدِ وَالتَّرَكُّبِ وَمِنْهُ:قوله تعالى: (إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ)(سورة صّ: من الآية٢١) ،وَقَالَ الْجَعْبَرِيُّ: حَدُّ السُّورَةِ قُرْآنٌ يَشْتَمِلُ عَلَى آي ذِي فَاتِحَةٍ وَخَاتِمَةٍ وَأَقَلُّهَا ثَلَاثُ آيَاتٍ.ينظر: الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)-تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- الهيئة المصرية العامة للكتاب-(١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م):١/١٨٦.

(٢)للعلماء فِي الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ اصْطِلَاحَاتٌ ثَلَاثَةٌ: أَشْهَرُهَا: أَنَّ الْمَكِّيَّ مَا نَزَلَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ وَالْمَدَنِيَّ مَا نَزَلَ بَعْدَهَا سَوَاءٌ نَزَلَ بِمَكَّةَ أَمْ بِالْمَدِينَةِ عَامَ الْفَتْحِ أَوْ عَامَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ أَمْ بِسَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ. الثَّانِي: أَنَّ الْمَكِّيَّ مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ وَلَوْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ وَالْمَدَنِيُّ مَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ وَعَلَى هَذَا تَثْبُتُ الْوَاسِطَةُ فَمَا نَزَلَ بِالْأَسْفَارِ لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ مَكِّيٌّ وَلَا مَدَنِيٌّ. الثَّالِثُ: أَنَّ الْمَكِّيَّ مَا وَقَعَ خِطَابًا لِأَهْلِ مَكَّةَ وَالْمَدَنِيُّ مَا وَقَعَ خِطَابًا لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَحُمِلَ عَلَى هَذَا قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ .ينظر: الإتقان في علوم القرآن:١/٣٧-و مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ)- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- الطبعة: الثالثة:١/١٩٣.

(٣) سورة الانبياء : من الآية ٦٦.

(٤)ينظر:البيان في عدّ آي القرآن: لأبي عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني (ت: ٤٤٤هـ) - تحقيق : غانم قدوري الحمد - مركز المخطوطات والتراث – الكويت- الطبعة الأولى (١٤١٤هـ- ١٩٩٤م) : ١/١٨٧.

وَحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [١]،وبدأ فيها بقصة إبراهيم (عليه السلام) إذ كان المقصود ذكر إكرامه للانبياء قبل محمد (صلى الله عليه وسلم) ،وابراهيم (عليه السلام) أبو أكثر الانبياء (عليهم الصلاة والسلام) إذ ليس هو أب نوح ولوط لكن لوط من أتباعه وأيوب من ذريته[٢]بدلي لقوله في سورة الانعام:﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ ﴾ [٣].

ترتيب السورة من حيث النزول ، سورة إبراهيم، ثم سورة الأنبياء، ثم سورة المؤمنون[٤]،ترتيب القرآن في مصحف عبدالله بن مسعود، سبأ ثم سورة الأنبياء ثم سورة الزمر[٥]،اما بالنسبة لترتيبها في المصحف ، سورة طه ثم الانبياء ثم الحج.

(١) سورة الانبياء : من الآية ٩٢.

(٢) ينظر: النبوات :لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس (ت: ٧٢٨ ه) – المطبعة السلفية – القاهرة (١٣٨٦ه):١/٢٨.

(٣) سورة الانعام : من الآية ٨٤.

(٤) ينظر: تنزيل القرآن :لابن شهاب الزهري (ت: ١٢٤ه) – تحقيق : د. صلاح الدين المنجد – دار الكتاب الجديد – بيروت– الطبعة الثانية (١٩٨٠ م) : ١/٢٨.

(٥) ينظر: الفهرست: لمحمد بن إسحاق أبي الفرج النديم (ت: ٣٨٥ ه)– دار المعرفة – بيروت (١٣٩٨ه – ١٩٧٨م): ١/٣٨-٣٩.

المبحث الاول :عالمية الرسالة

ليس جديدا لقول إن رسالة القرآن ودعوة الإسلام جاءت للناس عامة، ولا يتناقض ذلك مع كون القرآن أنزل باللغة العربية على النبي العربي محمد(صلى الله عليه وسلم)وسط بلاد العرب،لأن البشرية لا تملك لغة عالمية يفهمها الجميع.

فكان لابد من أن تكون الرسالة الخاتمة بإحدى اللغات البشرية ،ثم على المؤمنين من أبناء اللغات الأخرى أن يتعلموا من تلك اللغة ما يعرّفهم بمضمون تلك الرسالة.وقد بعث الله تعالى محمدا (صلى الله عليه وسلم)بالرسالة،قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[١]،ومن ثمّ أنزل القرآن بالعربية، وكان العرب أول من تلقى الدعوة الجديدة،ثم حملوها إلى الناس أجمعين، قال ابن بطال القرطبي[٢]: (إن الوحي كله إنما نزل بلسان العرب، ولا يرد على هذا كونه (صلى الله عليه وسلم) بعث إلى الناس كافة عربا وعجما وغيرهم ، لأن اللسان الذي نزل عليه به الوحي عربي، وهو يبلغه إلى طوائف العرب،وهم يترجمونه إلى غير العرب بألسنتهم)[٣].

وجاءت آيات القرآن الكريم تؤكد هذا المعنى وتوضحه، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٤]،وقوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ

---

(١) سورة الأنعام :من الآية ١٢٤.

(٢) ابن بطال: شارح صحيح البخاري العلامة أبو الحسن؛ علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي ،قال ابن بشكوال: كان من أهل العلم والمعرفة عني بالحديث العناية التامة؛ شرح الصحيح في عدة أسفار رواه الناس عنه واستقضي بحصن لورقة،توفي في صفر سنة تسع وأربعين وأربع مائة.ينظر:سير أعلام النبلاء: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)- دار الحديث- القاهرة-(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م):١٣/٣٠٣.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري :لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢) تحقيق : محب الدين الخطيب- دار المعرفة - بيروت : ٩ / ١٠.

(٤) سورة الانبياء: الآية ١٠٧.

ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[١]،وقوله تعالى:﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[٢].

وقد بيّن النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) هذا المعنى أيضا،فجاء في حديث جابر بن عبدالله ، الذي رواه البخاري أن النبي(صلى الله عليه وسلم)قال:

(قال أُعْطِيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ من أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ وَأُحِلَّتْ لي الْمَغَانِمُ ولم تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وكان النبي يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إلى الناس عَامَّةً)[٣].

وقد ختمت الرسالات ببعثة النبي محمد(صلى الله عليه وسلم)، قال الله تعالى:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴾[٤]،وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾[٥]،وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[٦]، ولهذا قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم): (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده لَايَسْمَعُ بِي أَحَدٌ من هذه الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ ولانَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ ولم يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إلا كان من أَصْحَابِ النَّارِ)[٧]،قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: (فيه نسخ الملل كلها برسالة نبينا(صلى

---

(١) سورة سبأ: الآية ٢٨.

(٢) سورة الاعراف : الآية ١٥٨.

(٣)الجامع الصحيح المختصر : لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦ه) تحقيق : د. مصطفى ديب البغا- دار ابن كثير – بيروت – الطبعة : الثالثة (١٤٠٧ه – ١٩٨٧م):١/ ١٢٨- حديث رقم : ٣٢٨.

(٤) سورة الاحزاب : الآية ٤٠.

(٥) سورة ال عمران :الآية ١٩ .

(٦) سورة ال عمران :الآية ٨٥.

(٧) ينظر: صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري (ت:٢٦١ه) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت: ١/ ١٣٤- حديث رقم: ١٥٣.

الله عليه وسلم)،وقوله(صلى الله عليه وسلم): (لَايَسْمَعُ بِي أَحَدٌ من هذه الْأُمَّةِ)، أي ممن هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة ،فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته)[١]، ومع أن رسالة نبينا محمد(صلى الله عليه وسلم) ناسخة للرسالات السابقة ، فإنها جاءت امتدادا لها، ومكملة لأحكامها ،وقد مثل ذلك رسول الله(صلى الله عليه وسلم)بقوله الذي رواه البخاري: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ من قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ من زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ الناس يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ له وَيَقُولُونَ هَلاَّ وُضِعَتْ هذه اللَّبِنَةُ قال فَأَنَا اللَّبِنَةُ وأنا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ)[٢].

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بأن يقولوا: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[٣]

إن عربية القرآن لا تلغي موقع العرب المتميز في حملها، فقد اختار الله تعالى العرب للإسلام لخصائص طبعيّة ومزايا خلقية ينفردون بها، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، وقد أثبت العرب الأولون حكمة هذا الاختيار بفهمهم العميق لطبيعة الإسلام، وإساغتهم الكاملة لتعاليمه، وتجردهم النادر عن كل ما ينافيها، وحماستهم المنقطعة النظير في نشر الإسلام، وتفانيهم الغريب في إعلاء كلمته، ورفع شأنه، وأمانتهم الدقيقة في حفظ روحه ونفسيته، ونجاحهم المدهش في تسخير القلوب والعقول لقبول عقيدته وثقافته[٤].

لقد ربط الله بين العرب والإسلام إلى الأبد، فالقرآن أكبر عوامل حياة هذه اللغة واستمرارها وانتشارها ووحدتها، وتظل اللغة العربية أساسا لتلاوة القرآن وفهمه وتفسير آياته، ومن ثمّ فإن ما لا يحصى من المسلمين من غير العرب يحبون هذه اللغة الكريمة ،ويحرصون على تعلمها وإتقانها في

(١)صحيح مسلم بشرح النووي: لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت: ٦٧٦ ه)- دار إحياء التراث العربي - بيروت – الطبعة الثانية(١٣٩٢ه): ٢ /١٨٦.

(٢) صحيح البخاري: ٣/ ١٣٠٠- حديث رقم:٣٣٤٢.

(٣) سورة البقرة : الآية ١٣٦.

(٤) ينظر:محاضرات في علوم القرآن :لأبي عبد الله غانم بن قدوري بن حمد بن صالح ،آلموسيفَرَج الناصري التكريتي- دارعمار–عمان–الطبعة: الأولى(١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م): ١/ ٤٦.

القديم وفي الحديث، لأنها لغة القرآن، ولغة العبادة والدين،وقد أحسن أبو منصور الثعالبي [١]التعبير عن العلاقة الخالدة بين العربية والقرآن بقوله: (من أحبّ الله تعالى أحبّ رسوله محمدا (صلى الله عليه وسلم) ومن أحبّ الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية، التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أن محمدا صلى الله عليه وسلم خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد)[٢].

إن ختم النّبوة يعني أن القرآن هو آخر رسالة إلى الناس، فلا كتاب بعد القرآن، ولو علم الله أن الناس يحتاجون إلى رسالة أخرى من بعد ذلك لما كان القرآن الكريم هو الرسالة الخاتمة،فإن رحمة الله بالبشر لا تتركهم بغير دليل،ونتيجة لختم النّبوة يلزم أن تكون صالحة لكل زمان ومكان، وأن تكون الرسالة لجميع البشر تحقيقا للعالمية[٣].

---

(١)عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي: من أئمة اللغة والأدب. من أهل نيسابور،كانفراءاً يخيط جلود الثعالب، فنسب إلى صناعته. واشتغل بالأدب والتاريخ، فنبغ. وصنّف الكتب الكثيرة الممتعة.ينظر:الأعلام:لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين-الطبعة الخامسة عشر (٢٠٠٢ م): ٤/١٦٣.

(٢)فقه اللغة وسر العربية:لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبي منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩هـ)-تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، إحياء التراث العربي – الطبعة الأولى(١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م):١/١٥.

(٣) ينظر:القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية: لمحمد حبش-دار الفكر-دمشق-الطبعة: الأولى(١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م):١٩٧.

المبحث الثاني : حاجة الناس الى الرسل

إن الحاجة إلى الرسل(صلوات الله وسلامه عليهم) ضرورية بل هي في أعلى مراتب الضرورة،بل هي أعظم من ذلك ،فهي مفتاح دار السعادة[١]،وصلاح العباد في المعاش والمعاد،فسعادتا لدنيا والآخرة إنما تكون باتباع النور الذي أنزل على الرسل(صلوات الله وسلامه عليهم) ، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[٣]؛فلا حياة للقلوب ولاطمأنينة إلا بمعرفة ربها ومعبودها بأسمائه وصفاته، والتأله له حبا وخوفا ورجاء ،ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان :

أحدهما : معرفة الطريق التي توصل إلى الله؛وهي شريعته المتضمنة أمره ونهيه.

والثاني : معرفة مآل العباد،وتفاصيل الثواب والعقاب[٤]،وهذه الأصول يستحيل أن تستقل العقول بمعرفتها على التفصيل؛ لأسباب كثيرة،منها :-

١ – إن معرفة العقل لهذه الأصول إجمالية، وغير يقينية، ولهذا نص عامة العقلاء على أنه لا سبيل إلى اليقين في المطالب الإلهية إلا عن طريق الوحي . قال ابن تيمية : (لَوْلَا الرِّسَالَةُ لَمْ يَهْتَدِ الْعَقْلُ إلَى

---

(١)ينظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة :لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله (ت: ٧٥١ ه) – دار الكتب العلمية – بيروت : ٢/ ١٢٤.

(٢) سورة طه: الآية ١٢٣-١٢٤.

(٣) سورة النحل : الآية ٩٧.

(٤)وينظر:الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة :لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ت: ٧٥١ هـ – دار الكتب العلمية – بيروت (١٣٩٥ه – ١٩٧٥م): ١/ ٦٢.ينظر: مجموع الفتاوى: لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية-(١٤١٦هـ/١٩٩٥م): ١٩/ ٩٥-٩٦.

تَفَاصِيلِ النَّافِعِ وَالضَّارِّ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ فَمِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَأَشْرَفِ مِنَّةٍ عَلَيْهِمْ: أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ؛ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ؛ وَبَيَّنَ لَهُمْ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانُوا بِمَنْزِلَةِ الْأَنْعَامِ وَالْبَهَائِمِ بَلْ أَشَرَّ حَالًا مِنْهَا فَمَنْ قَبِلَ رِسَالَةَ اللَّهِ وَاسْتَقَامَ عَلَيْهَا فَهُوَ مِنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ وَمَنْ رَدَّهَا وَخَرَجَ عَنْهَا ،فَهُوَ مِنْ شَرِّ الْبَرِيَّةِ وَأَسْوَأُ حَالًا مِنْ الْكَلْبِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْحَيَوَانِ الْبَهِيمِ.)[١].

٢ – وجود التنازع الظاهر بين الخلق على إدعاء كل منهم أحق بالحق و أولى بالإصابة،واتفاق أن ليس فيهم من يفزع إليه ليحكم بينهم ويريهم بما به يتألف قلوبهم وتجتمع كلمتهم،ومعلوم أن التنازع هو أصل كل فساد ومقدمة كل فناء، وذلك كله قبيح في العقول،فقد انتهت عاقبة العقول إلى من يعينها، ويردها إلى ماجعلت هي له من الصلاح والمعرفة ومعلوم أن لاأحد أعلم بذلك ممن خلقها وأنشأها وفي ذلك لزوم القول برسول[٢].

٣ –إن الهوى غالب على العقل؛ ولهذا يشرع لمصلحته لا للحق والعدل،والواقع الديمقراطي ،مصداق لهذه الحقيقة؛فكثير من التشريعات إنما تسن لمصلحة الرأسمالية لا لمصلحة الشعوب[٣].

٤ –إن العلماء يتفاضلون في إدراك ما به مصالحهم في أمر الدين والدنيا يكون عند واحد من ذلك ما ليس عند غيره،وإذا ثبت ذلك،فلا ندفع أن يكون عند الله مما به صلاح عباده مما ليس عند خلقه، فيوصله إاليهم برسله[٤].

ثم إن العقل قاصر عن تصور غايات التشريع وحكمه؛ ولهذا يبدو له في المستقبل مالم يكن حاضرا في يومه، فيضطر إلى التعديل والتبديل كلما ظهرت له مفاسد تشريعه .

---

(١)مجموع الفتاوى:١٩/ ١٠٠.

(٢)ينظر:التوحيد: لأبي منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣ ه) تحقيق : د. فتح الله خليف- دار الجامعات المصرية – الإسكندرية:١/ ١٨٢.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى:١٩/ ١٠٠، وينظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: ٢/ ٤٦.

(٤)ينظر: التوحيد: ١ / ١٨٢.

المبحث الثالث: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها

لماذكر الله (سبحانه وتعالى)في سورة الانبياء من الحكم والدلائل والقصص،قال واصلاً بما تقدم إشارة إلى أنه نتيجته: ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾[١]،أي:الذي ذكرنا ههنا من الأدلة على قدرتنا على قيام الساعة وغيرها من الممكنات، وعلى أن من ادعى علينا أمراً ،فأيدناه عليه، وجعلنا العاقبة له فيه، فهو صادق محق، وخصمه كاذب مبطل[٢](لَبَلَاغًا ا)،أي: وصولاً إلى البغية، فإن من اتبع القرآن وعمل به وصل إلى ما يرجو من الثواب،وقيل: بلاغاً ،أي: كفاية يقال في هذا الشيء بلاغ وبلغة ،أي: كفاية،والقرآن زاد الجنة كبلاغ المسافر،وقال الرازي: هذا إشارة إلى المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة { لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ } ،أي: عاملين به،وقال ابن عباس: عالمين، وقال الرازي: والأولى أنهم الجامعون بين أمرين؛ لأن العلم كالشجرة، والعمل كالثمر والشجر بدون الثمر غير مفيد، والثمر بدون الشجر غير كائن، وقال كعب الأحبار هم أمة محمد(صلى الله عليه وسلم) أهل الصلوات الخمس،وشهررمضان،ولما كان هذا مشيراً إلى إرشادهم ،فكان التقدير ،فما أرسلناك إلا لإسعادهم عطف عليه[٣]ما يفهم سبب التأخير لإنجاز ما يستعجله غير العابدين من العذاب ،فقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[٤]أي:بعظمتنا العامة على حالة من الأحوال،(إِلَّا):على حال كونك:(رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)كلهم، أهل السماوات وأهل

(١) سورة الانبياء : الآية ١٠٦.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) – دار الكتاب الإسلامي، القاهرة:١٢/٥٠٨.

(٣)ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: لشمس الدين،محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)-مطبعة بولاق (الأميرية) –القاهرة(١٢٨٥ هـ): ٢/ ٥٣٣.

(٤) سورة الانبياء : الآية ١٠٧.

الأرض من الجن والأنس وغيرهم، طائعهم بالثواب،وعاصيهم بتأخير العقاب،الذي كنا نستأصل به الأمم(١).

وعطفت هذه الجملة على جميع ما تقدم من ذكر الأنبياء الذين أوتوا حكما وعلما وذكر ما أوتوه من الكرامات، فجاءت هذه الآية مشتملة على وصف جامع لبعثة محمد(صلى الله عليه وسلم)،ومزيتها على سائر الشرائع مزية تناسب عمومها ودوامها،وذلك كونها رحمة للعالمين(٢).

ولما أورد تعالى على الكفار الحجج في أن لا إله سواه وبيّن أنه أرسل رسوله رحمة للعالمين أتبع ذلك بأمره (صلى الله عليه وسلم)(٣)،فقال :﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٤) ،أي:لكل من يمكنك له القول: (إنما يوحى إليّ) ،أي ممن لا موحي بالخير سواه وهو الله الذي خصني بهذا الكتاب المعجز(٥).

ولما كان الوحي الوارد على هذه السنن موجباً أن يخلصوا التوحيد لله تعالى قال(صلى الله عليه وسلم): ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٦)،أي: منقادون لما يوحى إلي من وحدانية الإله،والاستفهام بمعنى الأمر أي: أسلموا(٧).

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:١٢/ ٥٠٩- وينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: ٢/ ٥٣٣.

(٢)ينظر: التحرير والتنوير : لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)-: الدار التونسية للنشر – تونس

(١٩٨٤ م): ١٧/ ١٦٥.

(٣) ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: ٢/ ٥٣٤.

(٤) سورة الانبياء : الآية ١٠٨.

(٥) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:١٢/ ٥١٠.

(٦) سورة الانبياء : من الآية ١٠٨.

(٧)ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: ٢/ ٥٣٤.

المبحث الرابع:تحليل الكلمات

(ارسلناك): الرَّاءُ وَالسِّينُ وَاللاَّمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ، يَدُلُّ عَلَى الاِنْبِعَاثِ وَالاِمْتِدَادِ، فَالرَّسْلُ: السَّيْرُ السَّهْلُ. وَنَاقَةٌ رَسْلَةٌ: لَا تُكَلِّفُكَ سِيَاقًا، وَنَاقَةٌ رَسْلَةٌ أَيْضًا: لَيِّنَةُ الْمَفَاصِلِ. وَشَعْرٌ رَسْلٌ، إِذَا كَانَ مُسْتَرْسِلاً، ،وَالرَّسْلُ: وَالرِّسْلُ: اللَّبَنُ؛ وَقِيَاسُهُ مَا ذَكَرْنَاهُ، لِأَنَّهُ يَتَرَسَّلُ مِنَ الضَّرْعِ(١).

والرَّسُولُ المنبعث،وتصوّر منه تارة الرّفق، فقيل: على رِسْلِكَ، إذا أمرته بالرّفق، وتارة الانبعاث فاشتقّ منه الرّسول،وجمع الرّسول رُسُلٌ،ورُسُلُ الله تارة يراد بها الملائكة،وتارة يراد بها الأنبياء(٢).

تقول: أَرْسَلْتُ فلاناً في رِسالةٍ، فهو مُرْسَلٌ ورَسولٌ، والجمع رُسْلٌ ورُسُلٌ والمرسلات: الرياح، ويقال الملائكة، وقوله تعالى: ﴿ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٣)،ولم يقل: رُسُلُ رَبِّ العالمين،لان فعولا وفعيلا يستوى فيها المذكَّر والمؤنَّث والواحد والجمع،مثل عدوٍّ وصديق(٤).

(رحمة): الرَحْمَةُ: الرِقَّةُ والتعطُّفُ، والمرحمةُ مثلهُ،وقد رَحِمْتُهُ وترَحَّمْتُ عليه، وتراحَمَ القوم: رَحِمَ بعضُهم بعضاً،والرَحَموتُ من الرَحْمَةِ، يقال: " رَهَبوتٌ خيرٌ من رَحَموتٍ "، أي :لأنْ ترهب خير من

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون- دار الفكر – (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) :مادة (رسل): ٢/٣٩٢.

(٢)ينظر: المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)- المحقق: صفوان عدنان الداودي-دار القلم،بيروت-الطبعة: الأولى(١٤١٢ هـ): ٣٥٢.

(٣) سورة الشعراء من الاية ١٦.

(٤) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)،تحقيق: ٣٩٣هـ)،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين – بيروت -الطبعة الرابعة(١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) : مادة (رسل):٤/١٧٠٩، والقاموس المحيط: لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ) ،تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان-الطبعة الثامنة، (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م): باب اللام فصل الراء: ١/١٠٠٦.

أن ترحم،ورجلٌ مَرْحومٌ ومُرَحَّمٌ، شدّد للمبالغة،والرَحِمُ: رَحِمُ الأنثى، وهي مؤنّثة،والرَحِمُ أيضاً: القَرابَةُ،والرِحْمُ بالكسر مثله.(١).

الرَّحْمَةُ: رقّة تقتضي الإحسان إلى الْمَرْحُومِ، وقد تستعمل تارة في الرّقّة المجرّدة، وتارة في الإحسان المجرّد عن الرّقّة، نحو: رَحِمَ الله فلانا. وإذا وصف به الباري ،فليس يراد به إلّا الإحسان المجرّد دون الرّقّة، وعلى هذا روي أنّ الرَّحْمَةَ من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميّين رقّة وتعطّف.(٢).

(العالمين): والعالَمُ: اسم للفلك وما يحويه من الجواهر والأعراض، وهو في الأصل اسم لما يعلم به كالطابع والخاتم لمايطبع به ويختم به، وجعل بناؤه على هذه الصّيغة لكونه كالآلة، والعَالَمُ آلة في الدّلالة على صانعه، ولهذا أحالنا تعالى عليه في معرفة وحدانيّته،فقال: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٣)،وأمّاجمعه فلأنّ من كلّ نوع من هذه قد يسمّى عالما،فيقال: عالم الإنسان،وعالم الماء،وعالم النّار،وأمّا جمعه جمع السّلامة، فلكون النّاس في جملتهم، والإنسان إذا شارك غيره في اللّفظ غلب حكمه،وقيل: إنما جمع هذا الجمع لأنه عني به أصناف الخلائق من الملائكة والجنّ والإنس دون غيره، وقيل:العَالَمُ عالمان،الكبير:وهوالفلك بما فيه،والصّغير:وهو الإنسان لأنه مخلوق على هيئة العالم، وقد أوجد الله تعالى فيه كلّ ما هو موجود في العالم الكبير(٤)،قال تعالى:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٥).

---

(١)ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: مادة رحم: ١٩٢٩/٥،

(٢)ينظر:المفردات في غريب القرآن: ٣٤٧.

(٣)سورة الاعراف : من الآية ١٨٥.

(٤)ينظر: ينظر:المفردات في غريب القرآن: ٥٨٢.

(٥) سورة الفاتحة : الآية ٢.

المبحث الخامس: الاعراب والوجوه البلاغية

وفيه مطلبان:

المطلب الاول:الاعراب

جملة﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ معطوفة على جملة﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا ﴾[١].

(الواو) :عاطفة.

(ما) : نافية.

(أَرۡسَلۡنَٰكَ): أرسل: فعل ماض،و(نا): ضمير متصل في محل رفع فاعل،والكاف ضمير في محل نصب مفعول به.

﴿إِلَّا ﴾: للحصر.

﴿ رَحۡمَةٗ ﴾: المراد به نبينا ومولانا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وانتصاب(رحمة) على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول ،والمعنى على هذا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) هو الرحمة ،ويحتمل أن يكون مصدراً في موضع الحال من ضمير الفاعل، تقديره أرسلناكَ راحماً للعالمين، أو يكون مفعولاً من أجله،والمعنى على كلِّ وَجْهٍ: أن الله رحم العالمين بإرسال هذا النبي الرحيم إليهم[٢].

---

(١)ينظر:التحرير والتنوير: ٢٥/ ٦.

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦هـ) - تحقيق : علي محمد البجاوي-عيسى البابي الحلبي وشركاه :٢/ ٩٢٩- وينظر:الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأبي العباس ،شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)-المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط-دار القلم،دمشق : ٨/ ٢١٤-وينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)- دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان- الطبعة: الأولى(١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م):٢/ ١٩٠- وينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: ١٣٧٦هـ)- دار الرشيد- دمشق - الطبعة الرابعة(١٤١٨ ه):١٧/ ٧٦.

﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ :يجوزُ أَنْ يتعلَّقَ بمحذوفٍ على أنها صفةٌ ل ﴿رَحْمَةً﴾، أي: كائنةً للعالمين. ويجوز أَنْ يتعلَّقَ ب ﴿أَرْسَلْناك﴾ عند مَنْ يَرَى تَعَلُّقَ ما بعد ﴿إلاَّ﴾ بما قبلها جائزاً أو بمحذوفٍ عند مَنْ لا يَرَى ذلك[١]،وجملة: «وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ » لا محلّ لها معطوفة على الاستئنافيّة[٢].

المطلب الثاني: الوجوه البلاغية

في الآية القرآنية التي نحن بصددها جوانب بلاغية، يمكن ان نلخصها فيما يأتي:

١.الحصر:وذلك بالنفي والاستثناء في الآية: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٣] ،فهي كقولك في قصر الموصوف على الصفة: أفرادًا "ما زيد إلا شاعر"، وقلبًا "ما زيد إلا قائم"، وتعيينًا كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾[٤]،أي : لستم في دعواكم للرسالة عندنا بين الصدق و الكذب،كما يكون ظاهر المدعي إذ ادعى،بل أنتم عندنا كاذبون[٥].

٢.قوله: (أَرْسَلْنَٰكَ)فيه استعمال نون العظمة، وصيغة الجمع هذه تدل على التعظيم ،كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ﴾[٦]،ولم يقل: أنا أعطيتك [٧].

---

(١)ينظر:الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٨/ ٢١٤.

(٢) ينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: ١٣٧٦هـ)- دار الرشيد- دمشق – الطبعة الرابعة(١٤١٨ ه):١٧/٧٦،و ينظر:المجتبى من مشكل إعراب القرآن:أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة(١٤٢٦ هـ):٢./٧٣٨.

(٣) سورة الانبياء : الآية ١٠٧.

(٤) سورة يس : من الآية ١٥.

(٥) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبي المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت: ٧٣٩هـ) ،تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي- دار الجيل – بيروت-الطبعة: الثالثة :٣/٢٣-٢٤.

(٦) سورة الكوثر : الآية ١.

(٧) ينظر: صفوة التفاسير: لمحمد علي الصابوني – دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة-الطبعة: الأولى(١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م):٣/٥٨٦.

المبحث السادس :المعنى العام للآية

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (١):

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) وما أرسلناك يامحمد (صلى الله عليه وسلم)إلى خلقنا إلا رحمة لمن أرسلناك إليه من خلقي ،ثم اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية:

هل جميع العالم الذي أرسل إليهم محمد (صلى الله عليه وسلم) أريد بها مؤمنهم وكافرهم، أم أريد بها أهل الإيمان خاصة دون أهل الكفر؟

فقال بعضهم عني بها جميع العالم المؤمن والكافر،وقال آخرون: بل أريد بها أهل الإيمان دون أهل الكفر خاصة(٢) .

اما القول الاول، فلا خلاف فيه: (وما أحسب مسلما يستجيز إطلاق القول بأن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يكن مبعوثا إلى جميع الأمة أولها وآخرها وأنه لم يكن حجة عليها وشاهدا ،وأنه لم يكن رحمة لكافتها) (٣).

والراجح من القول هو : ان الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) رحمة لجميع العالم مؤمنهم وكافرهم ، وفي ذلك يقول الامام الطبري(رحمه الله تعالى) :(وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي روي عن بن عباس وهو أن الله أرسل نبيه محمدا(صلى الله عليه وسلم)رحمة لجميع العالم

---

(١) سورة الانبياء : الآية ١٠٧.

(٢) ينظر: تفسير مجاهد: لمجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبي الحجاج (ت: ١٠٤ه) تحقيق : عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي – المنشورات العلمية – بيروت :٤١٨/١. وجامع البيان عن تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبي جعفر (ت: ٣١٠) – دار الفكر – بيروت (١٤٠٥ه):١٠٦/١٧ ، والجامع لأحكام القرآن :لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١ه) – دار الشعب – القاهرة: ٣٥٠/١١.

(٣)أحكام القرآن: لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبي بكر (ت: ٣٧٠ ه) تحقيق : محمد الصادق قمحاوي– دار إحياء التراث العربي – بيروت (١٤٠٥ه) : ١١٠/١.

مؤمنهم وكافرهم ،فأما مؤمنهم فإن الله هداه به وأدخله بالإيمان به وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة، وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله)[١].

والرسول محمد(صلى الله عليه وسلم) جازت مرتبته الاصطفاء لأنه حبيب ورحمة،قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٢]،فالرسل خلقوا للرحمة، ومحمد(صلى الله عليه وسلم)خلق بنفسه رحمة، فلذلك صار أمانا للخلق، لما بعثه الله أمن الخلق العذاب إلى نفخة الصور. وسائر الأنبياء لم يحلوا هذا المحل، ولذلك قال عليه السلام: (أنا رحمة مهداة)[٣]يخبر أنه بنفسه رحمة للخلق من الله. وقوله (مهداة) أي هدية من الله للخلق[٤]،وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم):(إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا،وَلَكِنْ بُعِثْتُ رَحْمَةً)[٥].

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ كَانَ رَحْمَةً وَقَدْ جَاءَ بِالسَّيْفِ وَاسْتِبَاحَةِ الْأَمْوَالِ؟

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٠٦/١٧.

(٢) سورة الانبياء : الآية ١٠٧.

(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ﴾ . ﴿هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا.ينظر: المستدرك على الصحيحين:لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبيالطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية – بيروت–الطبعة: الأولى(١٤١١ ه- ١٩٩٠م): ٩١/١–حديث رقم(١٠٠).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)- تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة–الطبعة: الثانية، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م): ٦٣/٤.

(٥) ينظر: الأدب المفرد: لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري،أبي عبدالله (ت: ٢٥٦هـ)–المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي–دار البشائر الإسلامية–بيروت–الطبعة: الثالثة(١٤٠٩ه– ١٩٨٩م):١١٩.

قال الفخر الرازي مجيبا عن ذلك: (قُلْنَا: الْجَوَابُ مِنْ وُجُوهٍ: أَحَدُهَا: إِنَّمَا جَاءَ بِالسَّيْفِ لِمَنِ اسْتَكْبَرَ وَعَانَدَ وَلَمْ يَتَفَكَّرْ وَلَمْ يَتَدَبَّرْ، وَمِنْ أَوْصَافِ اللَّهِ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ،ثُمَّ هُوَ مُنْتَقِمٌ مِنَ الْعُصَاةِ، وَقَالَ: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا ﴾ (١)،ثُمَّ قَدْ يَكُونُ سَبَبًا لِلْفَسَادِ.

وَثَانِيهَا: أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ قَبْلَ نَبِيِّنَا كَانَ إِذَا كَذَّبَهُ قَوْمُهُ أَهْلَكَ اللَّهُ الْمُكَذِّبِينَ بِالْخَسْفِ وَالْمَسْخِ وَالْغَرَقِ وَأَنَّهُ تَعَالَى أَخَّرَ عَذَابَ مَنْ كَذَّبَ رَسُولَنَا إِلَى الْمَوْتِ أَوْ إِلَى الْقِيَامَةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾(٢)،لَايُقَالُ: أَلَيْسَ أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ : ﴿ قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ (٣)،وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ ﴾ (٤)،لِأَنَّا نَقُولُ تَخْصِيصُ الْعَامِّ لَا يَقْدَحُ فِيهِ.

وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي نِهَايَةِ حُسْنِ الْخُلُقِ قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٥))(٦).

وجاءت كلمة (العالمين)في القرآن الكريم على خمسة وجوه:

الوجه الأول:العالمين يعني الانس والجن خاصة،وذلك قوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (٧).

الوجه الثاني: العالمين يعني عالم أهل زمانهم، وذلك قوله في سورة البقرة لبني إسرائيل: ﴿ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (٨)يعني عالم زمانهم(٩).

---

(١) سورة ق : من الآية ٩.

(٢) سورة الانفال : من الآية ٣٣.

(٣) سورة التوبة : من الآية ١٤.

(٤) سورة الاحزاب: من الآية ٧٣.

(٥) سورة القلم : الآية ٤.

(٦)ينظر : التفسير الكبير ::٢٢/١٩٣.

(٧)سورة الفاتحة : الآية ٢.

(٨) سورة البقرة : من الآية ٤٧.

(٩) ينظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه :١/٢٦٧.

الوجه الثالث: العالمين يعني من لدن آدم إلى يوم القيامة،وذلك قوله في آل عمران: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[١]يعني على كلِّ امرأة من ولد آدم[٢].

الوجه الرابع: العالمين يعني ما كان بعد نوح، وذلك قوله في الصَّافاتِ: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٣] يعني الثَّناء الحَسَن، يقال لنوح من بعده في الناس[٤].

الوجه الخامس: العالمين يعني أهل الكتاب، وذلك قوله في آل عمران: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٥]يعني عن أهل الكتاب، لأنهم لا يرون الحجّ واجبا عليهم[٦].

وهنا قد يراد من العالمين في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٧]، جميع هذه المعاني، المعاني، فالرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) رحمة للإنس والجن، ولأهل زمانه، ولأهل الكتاب، ولغيرهم ،لأنَّ رحمته(صلى الله عليه وسلم)عمَّت جميع الموجودات، فِي الدُّنْيَا مِنْ عَذَابِ الاستئصال،وَفِي الْآخِرَةِ بِتَعْجِيلِ الْحِسَابِ،وَتَضْعِيفِ الثَّوَابِ[٨].

---

(١) سورة ال عمران : من الآية ٤٢.

(٢)ينظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه :٢٦٧/١.

(٣)سورة الصافات: الآية ٧٩ .

(٤)ينظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٦٧.

(٥)سورة آل عمران: من الآية:٩٧.

(٦)ينظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٦٧.

(٧) سورة الانبياء : الآية ١٠٧.

(٨)ينظر:أحكام القرآن: للقاضي محمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)-راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا-دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان-الطبعة: الثالثة،(١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م):٣/ ٥٨٣-وينظر:معترك القران في اعجاز القرآن:٥٨٧/٢.

المبحث السابع: ما يستفاد من الآية

١.إن الله يقول عن رسوله (صلى الله عليه وسلم): ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [١]،وإذا كان أثر الرحمة الواحدة بلغ هَذَا الْمَبْلَغُ فَكَيْفَ كَرَمُ مَنْ هُوَ رَحْمَنٌ رَحِيمٌ؟.

كَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ لَهُ إِنَّ لَكَ رَحْمَةً وَاحِدَةً وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [٢]، وَالرَّحْمَةُ الْوَاحِدَةُ لا تكفي في إصلاح عالم الْمَخْلُوقَاتِ، فَذَرْنِي وَعَبِيدِي وَاتْرُكْنِي وَأُمَّتَكَ ،فَإِنِّي أَنَا الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، فَرَحْمَتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا،وَمَعْصِيَتُهُمْ مُتَنَاهِيَةٌ، وَالْمُتَنَاهِي فِي جَنْبِ غَيْرِ الْمُتَنَاهِي يَصِيرُ فَانِيًا، فَلاَ جَرَمَ مَعَاصِي جَمِيعِ الْخَلْقِ تَفْنَى فِي بِحَارِ رَحْمَتِي، لِأَنِّي أَنَا الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ[٣].

٢. إِنَّ الرَّسُولَ اسْمُهُ أَحْمَدُ، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ أَحْمَدُ الْحَامِدِينَ أَيْ: أَكْثَرُهُمْ حَمْدًا،فَوَجَبَ أَنْ تَكُونَ نِعَمُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَكْثَرَ وذلك أَنَّ كَثْرَةَ الْحَمْدِ بِحَسَبِ كَثْرَةِ النِّعْمَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَزِمَ أَنْ تَكُونَ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي حَقِّ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَكْثَرَ مِنْهَا فِي حَقِّ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ[٤]،فَلِهَذَا السَّبَبِ قَالَ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [٥].

٣. أَنَّ الْمُرْسِلَ لَهُ اسْمَانِ مُشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَهُمَ االرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَهُمَا يُفِيدَانِ الْمُبَالَغَةَ،وَالرَّسُولُ لَهُ أَيْضًا اسْمَانِ مُشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَهُمَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ ،لِأَنَّا بَيَّنَّا أَنَّ حُصُولَ الْحَمْدِ مَشْرُوطٌ بِحُصُولِ الرَّحْمَةِ، فَقَوْلُنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ جَارٍ مَجْرَى قَوْلِنَا مَرْحُومٌ وَأَرْحَمُ[٦].

٤.يقول الفخر الرازي(رحمه الله تعالى): (انَّ مِنْ أَسْمَاءِ الرَّسُولِ:الْحَمْدَ،وَالْحَامِدَ،والمحمود،فهذه أسماء لِلرَّسُولِ دَالَّةٌ عَلَى الرَّحْمَةِ،إِذَا ثَبَتَ هَذَا ،فَنَقُولُ: إِنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ

---

(١) سورة الانبياء : من الآية : ١٠٧.

(٢) سورة الانبياء : من الآية : ١٠٧.

(٣) ينظر : التفسير الكبير : ١/٢٠٣.

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ١/٢٤١.

(٥) سورة الانبياء : من الآية : ١٠٧.

(٦) ينظر : التفسير الكبير : ١/٢٤١.

ٱلرَّحِيمُ ﴾[١]،فقوله: نبيء إِشَارَةٌ إِلَى مُحَمَّدٍ(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)،وَهُوَ مَذْكُورٌ قَبْلَ الْعِبَادِ،وَالْيَاءُ فِي قَوْلِهِ: عِبَادِي ضَمِيرٌ عَائِدٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْيَاءُ فِي قَوْلِهِ: أَنِّي عَائِدٌ إِلَيْهِ،وَقَوْلُهُ: أَنَا عائد إليه،وقول: الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، صِفَتَانِ لِلَّهِ فَهِيَ خَمْسَةُ أَلْفَاظٍ دَالَّةٌ عَلَى اللَّهِ الْكَرِيمِ الرَّحِيمِ،فَالْعَبْدُ يَمْشِي يوم القيامة وقدامه الرسول عليه الصلاة والسلام مَعَ خَمْسَةِ أَسْمَاءٍ تَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَةِ،وَخَلْفَهُ خَمْسَةُ أَلْفَاظٍ مِنْ أَسْمَاءِاللَّهِ تَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَةِ،وَرَحْمَةُ الرَّسُولِ كَثِيرَةٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٢] ،وَرَحْمَةُ اللَّهِ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾[٣]،فَكَيْفَ يُعْقَلُ أَنْ يَضِيعَ الْمُذْنِبُ مَعَ هَذِهِ الْبِحَارِ الزَّاخِرَةِ الْعَشَرَةِ الْمَمْلُوءَةِ مِنَ الرَّحْمَةِ؟)[٤].

٥.قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾[٥]،إستدل بعض العلماء بهذه الآية على أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أفضل من الملائكة ،فَالْمَلَائِكَةُ مِنْ جُمْلَةِ الْعَالَمِينَ،فَكَانَ مُحَمَّدٌ(عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ)رَحْمَةً لَهُمْ،فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ أَفْضَلَ مِنْهُمْ[٦].

٦.كون الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم)رحمة للكل لا ينافي قتله بعض الكفرة، والتعرض لأموالهم وأولادهم، كما أن كي بعض أعضاء المريض،بل قطعه لا ينافي حذق الطبيب،وإشفاقه على المريض ومن هنا قيل: آخر الدواء الكي،والعاقل لا ينسب التقصير إلى الفاعل لقصور في القابل[٧].

---

(١) سورة الْحِجْرِ: من الآية ٤٩.

(٢) سورة الانبياء : من الآية : ١٠٧.

(٣) سورة الاعراف : من الآية ١٥٦.

(٤) التفسير الكبير : ١/ ٢٤١.

(٥) سورة الانبياء : الآية ١٠٧.

(٦) ينظر : التفسير الكبير : ٢/ ٤٤٤.

(٧)ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان:لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)-المحقق: الشيخ زكريا عميرات-دار الكتب العلميه-بيروت-الطبعة: الأولى(١٤١٦ هـ) : ٥/ ٥٨.

٧.إن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم)جاء بالسعادة الكبرى، والنجاة من الشقاوة العظمى، ونالوا على يديه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم)الخيراتِ الكثيرة في الآخرة والأولى،وعلَّمهم بعد الجهالة،وهداهم بعد الضلالة، فإن قلت: رحمة للعالمين عموم،والكفار لم يرحموا به؟.

فالجواب من وجهين:

أحدهما – أنهم كانوا معرَّضين للرحمة به لو آمنوا،فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها.

والآخر – أنهم رُحموا به لكونهم لم يعاقَبوا بمثل ما عُوقب به الكفّار المتقدمون ،من الطوفان والصيحة وغير ذلك[١].

(١)ينظر:معترك الأقران في إعجاز القرآن :٢/ ١٩٠–وينظر:فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبي يحيى السنيكي (ت: ٩٢٦هـ) –تحقيق: محمد علي الصابوني– دار القرآن الكريم ،بيروت–لبنان–الطبعة: الأولى(١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م) :

-الخاتمة-

بعد هذا العرض لمادة البحث أشير الى بعض النتائج التي توصلت اليها :

١. إن القران الكريم هو المعجزة الكبرى للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) جاء في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة مما اعجز العرب ،بل الجن والانس على أن يأتوا بمثله، كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[١].

٢. ان الله يصطفي من يشاء من خلقه لحمل الرسالة، قال تعالى:﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴾[٢].

٣. الرسول مُحَمَّدٌ(عَلَيْهِالصلاة والسَّلاَمُ) رحمة لكل العالمين ،للمؤمن وللكافر،فهو (عَلَيْهِ الصلاة والسَّلاَمُ) كان رحمة في الدين وفي الدنيا، أما في الدين فلأنه عليه السلام بعث والناس في جاهلية وضلالة، وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم ،فبعث الله تعالى محمدا (صلى الله عليه وسلم) حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب، فدعاهم إلى الحق وبين لهم سبيل الثواب، وشرع لهم الأحكام وميز الحلال من الحرام، ثم إنما ينتفع بهذه الرحمة من كانت همته طلب الحق فلا يركن إلى التقليد ولا إلى العناد والاستكبار وكان التوفيق قرينا له، قال الله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾[٣]،وأما في الدنيا ،فلأنهم تخلصوا بسببه من كثير من الذل والقتال والحروب ونصروا ببركة دينه[٤].

---

(١) سورة الاسراء : الآية ٨٨.

(٢) سورة الانعام : الآية ١٢٤.

(٣) سورة فصلت : الآية ٤٤.

(٤) ينظر : التفسير الكبير ::١٩٣/٢٢.

٥.الجهد الكبير الذي بذله علماء الأمة في تفسير القرآن الكريم،فظهرت مصنفاتهم في مختلف العلوم التي تتعلق بالقران الكريم،كاسباب النزول والمناسبة بين ايات السور وغيرها.

٦.لو دُرست السور التي تحوي أحكاماً كاملة،لتمكّن المعلم أن يفيد في جانبي التفسير والأحكام،وهذا الأولى،وبه يعطى كل علم حظه من التدريس،ويستفيد الدارس من جملة هذه العلوم.

٧.ان دين الاسلام دين رحمة ، ورسول الله هو رحمة ،وهذا ما يجب على المسلمين ان يبينوه للناس ، خاصة في هذا الوقت العصيب الذي تمر به الامة الاسلامية من الضياع والفرقة والتشتت والقطيعة، ولكي نوضح للعالم اجمع الصورة الحقيقية لدين الاسلام،وفي القرآن العظيم آيات لا تحصر في الأمر بالبر والصلة والإحسان والعدل والقسط والوفاء بالعهد، والنصوص في ذلك مطلقة تستوعب كلأحد،بل إن نصوص الإحسان تشمل حتى الحيوان وفي الحديث عنه (صلى الله عليه وسلم) قال : (إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)(١)،وقال تعالى:﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾(٢)،وقال تعالى : ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾(٣)،وفي ظل هذا المفهوم العام للإحسان كان هدي النبي(صلى الله عليه وسلم)في معاملة غير المسلمين.

٨.يجب على المسلم التأسي بالرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) صاحب الخُلُق العظيم بشهادة رب العالمين، الأسوة الحسنة التي أمرنا الله تعالى ان نقتدي به، فقال تعالى ،وقوله الحق: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ

(١) صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١ ه)- تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي -دار إحياء التراث العربي - بيروت :١٥٤٨/٣-حديث رقم:١٩٥٥.

(٢) سورة البقرة : من الآية : ١٩٥ .

(٣) سورة البقرة: من الآية : ٨٣ .

فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ (١)،وهو الرحمة المهداة للعالمين ، قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (٢).

٩.الرحمة غاية البعث المحمدي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم)،وهكذا يجد المتتبع لآيات القرآن الكريم أنه(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) في ذاته رحمة،وفي شريعته(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم)رحمة،وفي الغاية التي ينتهي إليها المؤمن إن استمسك به رحمة،فالرحمة غاية البعث المحمدي وثمرته ونتيجته ونهايته(٣).

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

(٢) سورة الانبياء: الآية١٠٧.

(٣) ينظر: شريعة القرآن من دلائل إعجازه: لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)-دار العروبة-القاهرة-(١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م) :١/٧٢.

-المصادر والمراجع-

وهي بعد القرآن الكريم:

١. الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)-تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- الهيئة المصرية العامة للكتاب-(١٣٩٤هـ- ١٩٧٤ م).

٢. أحكام القرآن: للقاضي محمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)-راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان-الطبعة: الثالثة،(١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).

٣. أحكام القرآن: لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبي بكر (ت: ٣٧٠ هـ) تحقيق : محمد الصادق قمحاوي- دار إحياء التراث العربي - بيروت (١٤٠٥هـ).

٤. الأدب المفرد: لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبي عبدالله (ت: ٢٥٦هـ)-المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي- دار البشائر الإسلامية – بيروت-الطبعة: الثالثة(١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م).

٥. الأعلام: لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)،دار العلم للملايين-الطبعة الخامسة عشر (٢٠٠٢ م).

٦. الإيضاح في علوم البلاغة: لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبي المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت: ٧٣٩هـ) ،تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي- دار الجيل – بيروت- الطبعة: الثالثة.

٧. البيان في عدّ آي القرآن: لأبي عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني (ت: ٤٤٤هـ) - تحقيق : غانم قدوري الحمد – مركز المخطوطات والتراث – الكويت- الطبعة الأولى (١٤١٤هـ- ١٩٩٤م).

٨. التبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦هـ) - تحقيق : عليم حمد البجاوي-عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٩. التحرير والتنوير : لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)-الدار التونسية للنشر – تونس(١٩٨٤ م).

١٠. التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ليحيى بن سلام بن أبي ثعلبة القيرواني (ت: ٢٠٠هـ)-تحقيق: هند شلبي- الشركة التونسية للتوزيع- تونس (١٩٧٩ م).

١١. تفسير مجاهد: لمجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبي الحجاج (ت: ١٠٤هـ) تحقيق : عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي – المنشورات العلمية – بيروت.

١٢. تنزيل القرآن :لابن شهاب الزهري (ت: ١٢٤هـ) – تحقيق : د. صلاح الدين المنجد – دار الكتاب الجديد – بيروت– الطبعة الثانية (١٩٨٠ م).
١٣. التوحيد: لأبي منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣ هـ) تحقيق : د. فتح الله خليف– دار الجامعات المصرية – الإسكندرية.
١٤. الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ)– تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش– دار الكتب المصرية – القاهرة–الطبعة: الثانية، (١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م).
١٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبي جعفر (ت: ٣١٠) – دارالفكر – بيروت (١٤٠٥هـ).
١٦. الجامع الصحيح المختصر : لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ) تحقيق : د. مصطفى ديب البغا– دار ابن كثير – بيروت – الطبعة : الثالثة (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م).
١٧. الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: ١٣٧٦هـ)– دار الرشيد– دمشق – الطبعة الرابعة(١٤١٨ هـ)..
١٨. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)– المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط– دارالقلم، دمشق.
١٩. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة :لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ت: ٧٥١ هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت (١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م).
٢٠. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)– مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة(١٢٨٥ هـ).
٢١. سير أعلام النبلاء: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)– دار الحديث– القاهرة–(١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م).
٢٢. شريعة القرآن من دلائل إعجازه: لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)– دار العروبة – القاهرة–(١٣٨١ هـ – ١٩٦١ م).
٢٣. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: لنظام الدين الحسنبن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)–المحقق: الشيخ زكريا عميرات– دار الكتب العلميه – بيروت–الطبعة: الأولى(١٤١٦ هـ).

٢٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري :لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢) تحقيق : محب الدين الخطيب- دار المعرفة-بيروت.

٢٥. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبي يحيى السنيكي (ت: ٩٢٦هـ) -تحقيق: محمد علي الصابوني- دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان- الطبعة: الأولى(١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).

٢٦. فقه اللغة وسر العربية: لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبي منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩هـ)-تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي – الطبعة الأولى(١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).

٢٧. الفهرست: لمحمد بن إسحاق أبي الفرج النديم (ت: ٣٨٥ هـ)- دار المعرفة - بيروت (١٣٩٨ه – ١٩٧٨م).

٢٨. القاموس المحيط: لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ) ،تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان –الطبعة الثامنة، (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).

٢٩. القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية: لمحمد حبش- دار الفكر – دمشق- الطبعة: الأولى(١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م).

٣٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين – بيروت -الطبعة الرابعة(١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

٣١. صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٢. صحيح مسلم بشرح النووي: لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت: ٦٧٦ هـ)- دار إحياء التراث العربي - بيروت – الطبعة الثانية(١٣٩٢هـ).

٣٣. صفوة التفاسير: لمحمد علي الصابوني – دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة-الطبعة: الأولى(١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م).

٣٤. النبوات :لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس (ت: ٧٢٨ هـ) – المطبعة السلفية - القاهرة (١٣٨٦هـ).

٣٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) – دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة.

٣٦. المجتبى من مشكل إعراب القرآن: أ. د. أحمد بن محمد الخراط ،أبو بلال- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة(١٤٢٦ هـ).

٣٧. مجموع الفتاوى: لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)،تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية-(١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

٣٨. محاضرات في علوم القرآن :لأبي عبد الله غانم بن قدوري بن حمد بن صالح، آل موسيفَرَج الناصري التكريتي- دار عمار – عمان-الطبعة: الأولى(١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م).

٣٩. المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمد النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت-الطبعة: الأولى(١٤١١ ه- ١٩٩٠م).

٤٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبي العباس (ت: ٧٧٠هـ)- المكتبة العلمية – بيروت.

٤١. معجم مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت: ٣٩٥هـ)،تحقيق: عبد السلام محمد هارون- دار الفكر – (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٤٢. معترك الأقران في إعجاز القرآن: لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)- دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان-الطبعة: الأولى(١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).

٤٣. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة :لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبدالله (ت: ٧٥١ هـ) – دار الكتب العلمية–بيروت.

٤٤. المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)-المحقق: صفوان عدنان الداودي- دار القلم، بيروت-الطبعة: الأولى (١٤١٢ هـ).

٤٥. مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ)- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- الطبعة: الثالثة.